

## الرسالة

(عبرانيين ٩: ١١-١٤)

يا إخوة إن المسيح إذ قد جاء رئيس كهنة للخيرات المستقبلية فيمسكن أعظم وأكمل غير مصنوع بأيدي أي ليس من هذه الخليقة\* وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل الأقداس مرة واحدة فوجد فداءً أبدياً\* لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة يرش على المنحسرين فيقدسهم لتطهير الجسد\* فكم بالأحرى دم المسيح الذي بالروح الأزلي قرب نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائرنا من الأعمال الميتة لتعبدوا الله الحي.

## إنجيل

(مرقس ١٠: ٣٢-٤٥)

في ذلك الزمان أخذ يسوع تلاميذه الإثني عشر وابتدأ يقول لهم ما سيعرض له: هوذا نحن صاعدون إلى أورشليم وابن البشر سيسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم\* فيهزأون به ويصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم\* فدنا

## «وليبذل نفسه فدية»

### عن كثيرين

في الأحد الخامس من الصوم الكبير تحيي الكنيسة تذكارات البارة مريم المصرية، هذه القديسة التي أضحت في التقليد الشرقي رمزاً للتوبة وللجهاد الصادق من أجل الخلاص. وفي هذا اليوم تتلو علينا الكنيسة مقطعاً إنجيلياً يرتكز، وإن كان ثلاثي المحاور، على فكرة البذل المطلق كأساس للحياة في المسيح. يفتتح إنجيل اليوم بتنبؤ يسوع لتلاميذه بالتفصيل، وهم في الطريق إلى

أورشليم، عما سوف يكابده طوعاً من آلام وهزء وموت، وعن قيامته فيما بعد. الآية التي تسبق النص الإنجيلي لهذا الأحد هي: «وكانوا في الطريق صاعدين إلى أورشليم ويتقدمهم يسوع». لا يمكن للقارئ المتبصر إلا أن تستوقفه عبارة «يتقدمهم يسوع». فالرب العارف بما ينتظره في أورشليم يتقدم تابعيه إلى آلام أراد طوعاً أن يقتلها وحده دون سواه. آلام السيد هي «ساعة المجد» التي من أجلها أتى إلى العالم، وفي تقدمه تابعيه صورة جليلة لكنيسة العهد الجديد التي ترتقي بالجهاد إلى أورشليم السماوية ويتقدمها سيدها

المصلوب. المؤمنون الذين يتبعون يسوع يخلصون لأنهم اغتسلوا بدمه واعتنقوا فداءً مثلاً. هذا ما يخاطبنا به الإنجيلي اليوم، عبر عبارة «يتقدمهم يسوع».

نفهم من النص الإنجيلي أن تابعي يسوع إلى أورشليم كانوا كثيرين، ولكنه أخذ «الإثني عشر وابتدأ يقول لهم ما سيعرض له» أي إنه أخذ التلاميذ على حدة ليكشف لهم تفاصيل ذلك

السر الرهيب، سر آلامه وموته ثم قيامته. الرب ينفرد بأخصائه لأنهم صورة لكل من يترك اهتماماته وارتباطاته الأرضية ليلتزم يسوع، أي من

يضع إنجيل الرب ناموساً أوحداً لحياته. المتمسك بما للأرض، أو حتى المتأرجح بين ما للأرض وما للسماء، لا تكشف له السماويات إلا متى اعتنق الله اعتناقاً تاماً. هذا هو المعنى المسيحي لبذل الذات.

+ «فدنا إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدي قائلين...»: لا شك أن إدراك التلاميذ لأقوال يسوع عن آلامه ما زال سطحياً، بالرغم من أنها المرة الثالثة التي ينبئهم فيها السيد عن آلامه. ففي المرة الأولى نرى بطرس متحمساً ليبعد عن يسوع فكرة الآلام (مر ٨: ٣٢)، وفي المرة الثانية يتجادل التلاميذ فيما بينهم على من هو فيهم

العدد ٢٠٠٣/١٥

الأحد ١٣ نيسان

الأحد الخامس من الصوم

أحد البارة مريم المصرية

القديس مرتينوس بابا روميه

اللحن الأول

إنجيل السحر التاسع

الأعظم (مر ٩: ٣٤). يسوع يكشف الآن لتلاميذه، وهي المرة الثالثة، عن سر فدائه العظيم، وها هما يعقوب ويوحنا يلتمسان منه مجداً ورفعاً. لم يطلبوا مجداً عادياً وحسب، بل مكاناً إلى جانب المسيح. لا سيما إذا استقرأنا المفهوم اليهودي لـ«المسيح» الراسخ في أذهانهم وفي ثقافتهم الدينية. فالـ«المسيح» في فهمهم هو ملك أرضي ينصبه الله على عرش مدينة داود، ليجمع الشعب الإسرائيلي تحت سلطانه ويخضع الأمم. لقد ظن الإثنان أن السيد متى ارتقى عرش إسرائيل سوف يميزهما بمكانة خاصة، لا سيما وأنه نفسه قد سبق فأظهر لهما، مع بطرس، شيئاً من تفضيل (مر ٩: ٢٠). أما فيما يخص بالآلام، فمعروف من نبوءات العهد القديم أن ثمة شذائد كثيرة سوف تسبق زمن «ملك المسيا».

نأتي إلى كلمتي «الكأس» و«الصبغة»، اللتين وردتا مراراً في العهدين القديم والجديد للدلالة على موت الشهادة. يسوع يسأل تلميذه إن كانا مستعدين أن يقبلا الشهادة على مثاله، وذلك قبل أن يجيب عن سؤالهما. يسوع يقول ليعقوب ويوحنا، وعبرهما لكل سامع في كل زمان، إن المجد الحقيقي هو الصليب، أي البذل الكامل وغير المشروط. يجيب التلميذان فوراً «نستطيع». يقول الذهبي الفم إنهما أجابا هكذا دون أن يفهما ما كان يكلمهما به، بل فقط على رجاء الوصول إلى مبتغاهما. تفسير الذهبي الفم يؤكد كلام السيد: لكم أن تشربوا كأس الآلام وأن تصطبغوا بصبغة الشهادة، إن أنتم أردتم. ولكن بلا شرط، وإلا لا يكون استشهادهم بذلاً، ولا يكون بالتالي متمثلاً باستشهادي. المؤمن يلتزم بذل ذاته تمثلاً بالسيد وحسب، مجاناً، ولا يتاجر مع الله. لم يقل لهم السيد «لا مكان لكم في الملكوت»، بل قال «اتركوا أمر توزيع المكنات في الملكوت لله وحده، ولا تضعوا عليه

شروطاً». أهمية هذا التعليم، وفي زمن الصوم والجهادات الروحية بالذات، تكمن في تنبيه المؤمن إلى أن صومه وصلاته وجهاداته كلها هي لصلب أهوائه وتنقيته صورة الله فيه لا طمعاً بأي أجر، وإلا كان أجيراً. مجد الرب تجلى في أوجه على الصليب، ومذاق صار المسيحي يعرف أن المجد لا يأتيه إلا بالبذل، والبذل في جوهره مجاني.

**+ و«لما سمع العشرة ابتدأوا يغيظون...»:** اغتاز العشرة الباقون لأنهم، مثل يعقوب ويوحنا، ما زالوا يفهمون ملك الـ«مسيح» ملكاً زمنياً تتقاسم فيه السيادة والسلطات بمفهومها الأرضي، ولأن التلميذين لم يهتما للآخرين فيما يختص بالملكوت. هنا يتوجه يسوع إليهم جميعاً بتعليم يوضح المفهوم المسيحي الحقيقي للأولية في العالم بشكل عام، وفي الكنيسة على الأخص. نشير هنا إلى أن الأولية المشار إليها هنا لا تفيد الرئاسة أو السلطة وحسب، بل والغنى الروحي. من كان كبيراً بالسلطة أو بالموهب الروحية لا ينظر إلى من هم دونه نظرة استعلاء وكبر، وإلا كان وثنياً في عمق قلبه. المسيحي المؤمن، إن أعطي له موقع رئاسي ما، يفهم رئاسته اتضاعاً وخدمة بل رسالة من الله يؤديها متمثلاً بسيد المصلوب. الكلمتان «خادماً» و«عبداً» تعبران بأجلى بيان عن رسالة الكنيسة التي متى تمثلت بسيدها، تعتبر نفسها مسؤولة عن استمرار فدائه في العالم.

لا شك أن السلطة والقوة تأتيان بتجارب كثيرة لصاحبهما. بيد أن هذه التجارب لا تشكل المؤمن المعتصم بمثال سيده الذي جربته السلطة مراراً، وفي كل مرة كان يخرج منتصراً. فالشيطان أوحى ليسوع في البرية أن يسلك الطريق السهل ويفرض نفسه ملكاً أرضياً من خلال الأعمال الباهرة مثل تحويل الحجارة إلى أرغفة والسقوط بشكل مدهش من

إليه يعقوب ويوحنا إبننا زبدي قائلين يا معلم نريد أن تصنع لنا مهماً طلبنا\* فقال لهما ماذا تريدان أن أصنع لكما\* قال له أعطنا أن يجلس أحدنا عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك\* فقال لهما يسوع إنكما لا تعلمان ما تطلبان. أستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا\* فقالا له نستطيع. فقال لهما يسوع أما الكأس التي أشربها فتشربانها وبالصبغة التي أصطبغ بها فتصطبغان، وأما جلوسكما عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيها إلا للذين أعد لهم\* فلما سمع العشرة ابتدأوا يغيظون على يعقوب ويوحنا\* فدعاهم يسوع وقال لهم قد علمتم أن الذين يحسبون رؤساء الأمم يسودونهم، وعظماءهم يتسلطون عليهم\* وأما أنتم فلا يكون فيكم هكذا\* ولكن من أراد أن يكون فيكم كبيراً فليكن لكم خادماً\* ومن أراد أن يكون فيكم أول فليكن للجميع عبداً\* فإن ابن البشر لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فداءً عن كثيرين.

## تأمل

أين الذين يتنازعون الرئاسة ويتعلقون بحب الرتب ويقصدون المناصب العالية؟ اسمعوا قول ربنا ان الكبير فيكم يجب أن

يكون خادماً. والأول أن يكون عبداً. وابن الإنسان جاء ليخدم ويبذل ذاته عن المؤمنين. فإذا كان السيد والملك ومظهر مسالك الفضيلة يوجد هكذا باذلاً ذاته وخادماً لغيره وخالغاً ثياب الكبرياء وطارحاً عصا الرئاسة العالمية، فكيف تلتمس أنت المخلوق والمملوك والمتغير والمائت أن تكون عظيمًا ورئيسًا. وما بالك لا تحتل ثقل الآلام والمشقات والمراتب الدنيوية لأجل نوال الخلود في النعيم. ألا ترى انه إذا كان الذين يعززون على السفر إلى البلاد البعيدة إذا تصوّروا المنافع الجزيلة التي يؤملون حصولها من هناك يستسهلون الأتعاب والمشقات وركوب البحار وملاقة الأهوال والمخاطر في الطرق المخيفة بالنسبة إلى المنافع المأمول حصولها. وكذلك يفعل الزارعون، فإنهم إذا تصوّروا المنافع المأمولة من زراعتهم يستسهلون ما يكابدونه من المشقات والأتعاب وتكلف الحرث والبذر وغير ذلك. وهكذا يفعل الذين يغوصون في البحر والذين يفتشون على الخبايا والذين يصطادون الوحوش والحيات فإنهم يطرحون ذواتهم في الخطر أملاً في تحصيل منافع

مكان عالٍ. كل الجموع كانت تتمنى أن يعلن يسوع نفسه ملكاً أرضياً، وحتى بطرس نفسه أراد أن يبعد السيد عن الإستشهاد. لكن الصورة التي ما بارحت لحظة ذهن يسوع كانت صورة العبد المتألم التي سبق فرأها وتحدث عنها إشعياء (٢:٥٣). يعلمنا إنجيل اليوم أن الأم ابن الإنسان هي بذل إلهي طوعي لإطلاق المأسورين من الشيطان، ومن لا يعترف بهذا البذل فداءً خلاصياً يبقى أسيراً لأهوائه ومآسيه، أو يسقط في حبال الطول الخادعة التي لا تنتج إلا الفراغ وخيبات الأمل. ويعلمنا الإنجيل أيضاً أن المسيحي المؤمن لا يطلب مجداً إلا مجد التمثل بسيد. المؤمن يجد في إثر هذا المجد مستشهداً كل يوم، أي باذلاً نفسه منقياً صورة الله فيه، راجياً بلوغ المجد الذي التمتع على الصليب، وكل مجد غير هذا يبقى من حبال الشرير.

## ليخدم لا ليخدم

منذ بدء الصوم الكبير المقدس ونحن نردد صباحاً ومساءً مع القديس افرام السرياني صلاة التوبة «أيها الرب وسيد حياتي...»، ونطلب فيها من الرب أن يعتقنا من روح حب الرئاسة. لا بد أن يكون هذا الروح موجوداً لدى كل واحد منا حتى تذكره هذه الصلاة. ويأتي إنجيل هذا الأحد (مر ١٠: ٣٢-٤٥) ليؤكد لنا ان المجد الحقيقي يكمن في خدمة الآخرين لا في التسلط عليهم: «أمأ الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم... من أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً. ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً. لأن ابن الإنسان أيضاً لم يات ليخدم بل ليخدم ولينبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مر ١٠: ٤٥-٤٣). حب الرئاسة والتسلط والاستئثار بالرأي وإلغاء الآخر والأنانية لا

تقتصر على من هم في موقع مهم أو عالٍ في السلطة أو الدولة أو المجتمع. نحن، الأشخاص «العاديين»، نمارس سلطتنا ورئاستنا على طريقتنا وعلى مستوانا «العادي» في بيوتنا وكنائسنا وعملنا ومجتمعنا. كلنا معرضون للسقوط ضحية رغبتنا بأن نفرض آراءنا ونفعل ما نريد، ونطبق برامجنا، ونتلاعب بمشاعر غيرنا ونسيطر عليهم. نفعلها وفي أغلب الأحيان دون وعي للموضوع. ليفحص كل منا ضميره بصدق أمام الله، ألا نجد اننا فعلناها في كثير من المرات. بعد أن غسل يسوع أرجل تلاميذه قال لهم: «أتفهمون ما قد صنعت بكم. أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأنني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأنني أعطيتكم مثلاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً... إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه» (يو ١٣: ١٧-١٢).

لقد كان الرب يسوع، وما زال وسيبقى، يملك كل السلطان في السماء وعلى الأرض. إنه ابن الله وكلمته الذي «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو ١: ٣). لكنه تواضع وأخلى ذاته طائعاً لأبيه حتى الموت لأجل خلاص العالم. لقد كان باستطاعته أن يدعو جوقات من الملائكة لكي تنقذه (متى ٢٦: ٥٣، يو ١٩: ١٠-١١)، لكنه لا يفعل، بل يظهر المعنى الحقيقي الإلهي للسلطة والقوة عبر خدمة أبيه وشعبه، عبر حبهم «إلى المنتهى» (يو ١٣: ١). الرسول بولس يقول في الرسالة إلى أهل فيليبس ان يسوع «أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس... وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم» (في ٢: ٧-٩). من يريد أن يرفعه الله عليه أن يصير خادماً وعبداً للبشر بيسوع المسيح، لا أن يتراأس عليهم.

لقد خُلِقَ الجنس البشري ليشابه تواضع الله المحب. هذا التواضع المحب الذي تجلى عند تنازل ابن الله أن يصير بشراً مثلنا خادماً للجميع، ويخدمنا الخدمة الكبرى على الصليب. الرسل، وعبرهم كل واحد منا ارتضى أن يحمل سمة يسوع على جبهته، مدعوون لأن يشابهوا السيد والرب ويقدموا أنفسهم خدمة مجانية للآخرين كما قدم يسوع نفسه ذبيحة محيية على الصليب.

«يا رب لقد ساررت تلاميذك وعلمتهم قائلاً: «انظروا يا أحبتي لا يفصلكم عني خوف لأنني وإن كنت أتألم فذلك من أجل العالم. فلا ترتابوا بي إذا، لأنني لم أت لأخدم بل لأخدم وأضع نفسي فداءً عن العالم. فإذا، إن كنتم أحبائي فتشبهوا بي ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليصبر أخيراً والسيد كالخادم. اثبتوا في لحي تاتوا بعناقيد، لأنني أنا هو كرمة الحياة» (من سحر الخميس العظيم).

### **برنامج الصلوات التي يترأسها سيادة راعي أبرشية المطران الياس خلال الأسبوع العظيم والفصح المقدس للسنة ٢٠٠٣**

**السبت ١٩ نيسان - سبت لعازن:**  
+ صلاة السحر في الثامنة والنصف والقداس الإلهي في التاسعة والنصف في كنيسة البارين أنطونيوس وبورفيروس في دار المطرانية.

**الأحد ٢٠ نيسان - أحد الشعانين:**  
+ صلاة السحر في الثامنة والنصف والقداس الإلهي في التاسعة والنصف في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرقية.  
+ صلاة الختن الأولى في كنيسة مار الياس في المصيطبة، الساعة السادسة مساءً.

**الاثنين ٢١ نيسان - الإثنين العظيم:**  
+ صلاة الختن الثانية في كنيسة دير

مار الياس بطينا، الساعة السادسة مساءً.

**الثلاثاء ٢٢ نيسان - الثلاثاء العظيم:**  
+ صلاة الختن الثالثة في كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت، الساعة السادسة مساءً.

**الأربعاء ٢٣ نيسان - الأربعاء العظيم:**  
+ صلاة الزيت المقدس في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرقية، الساعة الخامسة مساءً.

**الخميس ٢٤ نيسان - الخميس العظيم:**  
+ خدمة أناجيل الآلام المقدسة في كنيسة رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل في المزرعة، الساعة الخامسة مساءً.

**الجمعة ٢٤ نيسان - الجمعة العظيم:**  
+ خدمة الساعات وإنزال المصلوب في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الإحسان، الساعة التاسعة صباحاً.

+ خدمة جناز المسيح في كنيسة بشارة السيدة في الأشرقية، الساعة الخامسة مساءً.

**السبت ٢٦ نيسان - سبت النور:**  
+ القداس الإلهي في كنيسة القديسة كاترينا في مدرسة البشارة الأرثوذكسية، الساعة التاسعة صباحاً.

**الأحد ٢٧ نيسان - الفصح المقدس:**  
+ الهجمة و قداس الفصح في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرقية، الساعة السادسة صباحاً.

**الاثنين ٢٨ نيسان - الإثنين الجديد (البعوث) وعيد القديس جاورجيوس:**

+ القداس الإلهي في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة، الساعة التاسعة صباحاً.

**الجمعة ٢ أيار - ينبوع والدة الإله:**  
+ القداس الإلهي في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرقية، الساعة التاسعة صباحاً.

مظنونة سريعة الزوال. فإذا كان هؤلاء لتصورهم الفوائد المأمولة يجتهدون ويحتملون الأتعاب ويصبرون على المشقات هكذا فكم ضعفاً ينبغي لكم أن تقبلوا من أنواع الشدائد وتصبروا عليها مسرورين أنتم الذين وعدوا بملك السموات ونعيم الأبد والسعادة التي لا تزول. فلنتشبه الآن بعبيد ربنا الذين احتملوا المشقات صابرين عليها وقبلوا الآلام والبلايا مسرورين كأيوب وداود وجميع الأنبياء والرسل والمجاهدين في سبيل الفضائل. فإن قورح ودانان إذ طلبا الرتبة العالية سقطا إلى قعر الهوان. وأيوب إذ صبر على البلايا في محبة الله استحق أن يمدحه الله ويظهر حسن سيرته لأهل الأرض. فإنه تعالى قال موبخاً للشيطان تأملت حسن صبر عبدي أيوب وأنه لا يوجد في الأرض مماثل له في الفضيلة لأنه بار عادل عابد لله متباعد عن مسالك الرذيلة. رأيت شرف هذا الثناء وعظمة المحبين للفضيلة؟ أشاهدت كيف مدح الرب طلابها واعتبرت هذه الألفاظ المملوءة سروراً؟

القديس

يوحنا الذهبي الفم